الفصل 32

البراءة

في يوم جميل من أيام شهر يونيو عام 2008م لم تستطع المحكمة تأجيل القضية مدَّةً أطولَ، واستجابت القاضية بريسكا لطلبنا عقد جلسة استماع للطعن في استنتاجات عدم كفايتي العقلية للمثول أمام المحكمة.

ستكون هذه أول جلسة استماع منذ اعتقالي قبل أربع سنوات، وسيتقرر فيها إن كنت أَهْلًا قانونيًّا للمثول أمام المحكمة، وسيُسمح للمحامي باستدعاء شاهدين فقط يستطيعان إثبات روايتي، أما في جلسة المحاكمة فسيوجد عشرات الشهود، وقد حاول المدعي العام منع استدعائهم.

كانت كيلي أوميرا أول الشهود، وقد قضت (17) سنةً في الكونغرس، وتدرجت لتصبح رئيس مكتب النائب آندرو فوربز، وشاركت في التحقيقات الخاصة في التحطُّم الغامض لطائرة (تي دبليو إيه 800) فوق لونغ آيلاند، وهي التي ضغطت بقوة حتى اعترفت وزارة الدفاع أنَّ ثلاث غواصات كانت تجري مناورات قرب شواطئ لونغ آيلاند، ربما تكون أطلقت صواريخها على الطائرة المنكوبة خطأً [600].

انتقلت كيلي بعد ذلك للعمل في الصحافة الاستقصائية، ونشرت الكتاب الآنف ذكره (انطفاء الطب النفسي: كيف يختلق هذا الطب الأمراض العقلية ويحقن بأدوية قاتلة) [601].

obeikan.com

وأخيرًا، كانت كيلي تعرف بول هوفين منذ عشرين عامًا، وقد تعرفت إليه - مثلي- عن طريق بات ويت التي كانت رئيس مكتب النائب هيلين بنتلي [602].

قالت كيلي في شهادتها: «تعرفت إلى بول عندما كنت أُحقِّق في وفاة إيرانا سان سلفادور، الذي كان يعمل حارسًا في السفارة الأميركية في السلفادور، لقد قُتل هذا الرجل، وكنت أُحقِّق في مقتله، أخبرت صديقة لي بهذا الحادث، فاقترحت عليَّ التعرف إلى بول هوفين الذي لم يتردد في مساعدتي، وهكذا كان؛ إنَّه إنسان لطيف، وقد أصبحنا صديقين، كان أول مَن اصطحبني إلى مطعم هونان الذي يتردد عليه موظفو الكونغرس، وكان بعض موظفي وزارة الدفاع يأتون إلى هذا المكان من حين إلى آخر، حيث يلتقون بعد العمل، ويتسامرون».

صمَّم شوغنيزي على إثبات علاقة هوفين العريقة بأجهزة الاستخبارات؛ سواء اعترف بعلاقته الرسمية بوكالة استخبارات الدفاع أم لم يعترف؛ ولذلك سأل كيلي أن تصف ما تعرفه عن عالم الاستخبارات الغامض، وقد كان وصفها مذهلًا ومخيفًا.

شوغنيزي: مع استمرار علاقتك به، هل عرفت الأشياء التي كان يفعلها ليعيش؟

كيلي: لا أدري ما الذي كان يفعله بول ليكسب لقمة عيشه، ولم أعرف قط أنَّه كان يعمل في وظيفة منتظمة مثل أي شخص آخر؛ أعني لم أشاهده قط وهو ينهض من نومه ليذهب إلى العمل، لكنَّني كنت أعرف أنَّ له علاقة بالشؤون العسكرية، حين عرفته لم يكن لديه وظيفة محددة.

شوغنيزي: هل حدث في يوم من الأيام أن تعرفت إلى شخص يُدعى جو هاريف؟

كيلي: نعم.

شوغنيزي: كيف تعرفت إليه؟ وكيف أصبحت علاقتك به؟

كيلي: كنت رئيس المحققين في تحطُّم طائرة (تي دبليو إيه 800) فوق لونغ آيلاند في شهر يوليو عام 1996م، ممثلةً السيناتور فوربز، وقد علم هوفين أنَّني أُحقِّق في هذا الحادث، فقال لي: «عليك أن تتحدثي إلى جو هاريف»، وهكذا فقد عرفني هوفين إلى هاريف؛ وهو ضابط سابق في سلاح البحرية، واستمرت علاقتنا أربع سنوات.

شوغنيزي: هل استخدم هوفين أي مصطلح فيما يتعلق بعلاقتك بجو هاريف؟

كيلي: حسنًا، حدث ذلك في نهاية علاقتنا؛ فطوال المدَّة التي عرفت فيها جو، بعدما تركت وظيفتي في الكونغرس، وعملت في صحيفة واشنطن تايمز، لم يقل لي بول أي شيء، ولكن حدث وأنا أتابع قضية تفجير مدينة أوكلاهما أنَّ جو أعطاني بعض المعلومات التي لم أفهمها في حينه، فبعثت إليه برسالة بالبريد الإلكتروني لتوضيحها، فرد قائلًا: «لا أريد أن أتحدث إليك مرَّةً أخرى أبدًا».

القاضية: أبدًا!

كيلي: لا أريد أن أتحدث إليك مرَّةً أخرى أبدًا، هذا ما قاله، ولم أعرف السبب، لقد صُدِمت إلى حدٍّ ما، فقد كنت أعتقد أنَّنا صديقان، ولم أفهم ما حدث. ثم قابلت بول، وأخبرته بما حدث، فنظر إليَّ قائلًا: «حسنًا، إنَّه لم يعد المُشرِف عليك بعد الآن»، وهذا ما أقلقني جدًّا؛ لأنَّ بول هو الذي عرَّفني إلى جو، ولم أكن أعرف أنَّه يراقبني.

شوغنيزي: ماذا فهمت من كلمة المُشرِف؟

كيلي: حسنًا، كيف تفهمها أنت؟

شوغنيزي: أنت التي ستجيبين.

كيلي: لا بأس؛ إنَّها تعني أنَّ شخصًا يراقبني، ثم يبلغ آخرين بأي معلومات قد أقولها له.

شوغنيزي: مَن هم؟

كيلي: الاستخبارات، هذا ما اعتقدته، قد أكون مخطئةً، ولكنَّ هذا ما اعتقدته.

شوغنيزي: فيما يتعلق بالسيد هوفين، هل فهمت أنَّه يمارس عملًا استخباراتيًّا بطريقة أو بأخرى؟

كيلي: هذا مجرد رأي.

شوغنيزي: نعم، هل اعتقدت أنَّ السيد هوفين عضو في الاستخبارات، أو مشارك فيها؟

كيلي: نعم.

شوغنيزي: لماذا؟

كيلي: لأنَّني اعتقدت من اليوم الأول الذي تقابلنا فيه أنَّه مُخبِر. وبالنسبة إلى الناس الذين لا يعيشون في واشنطن، أو غير المشاركين في أنشطة التحقيقات والاستقصاءات، فإنَّهم قد

لا يفهمـون ذلـك، لكنَّه كان دائمًا يملك معلومات مثيرة، كان يسـألني دائمًا عما أعرفه، وأذكر أنَّني أخبرته عن شـيء يتعلق بحادث تحطُّم الطائرة، فكان عنوان الصحف التي صـدرت في الغـد، لقـد شـعرت دائمًا أنَّه يُمـرِّر معلومات، وهذا هو الحال مع الأشـخاص جميعهم الذين عرفني بهم، هذا ما اعتقدته؛ لأنَّه لم يكن يمارس أي عمل.

شوغنيزي: هل تعرفين شخصًا يُدعى الدكتور ريتشارد فيوز؟

كيلي: نعم، لقد قابلت الدكتور فيوز.

شوغنيزي: كيف تعرفت إليه؟

كيلي: عن طريق بول هوفين.

شوغنيزي: هلَّا تكرَّمتِ بتوضيح ما حدث.

كيلي: لقـد أراد بـول أن يعرفنـي إلى صديقه الحميـم الدكتور فيوز، فأخـذني إلى مكتبه، كنت مريضـةً في ذلـك اليـوم، فتولـى بـول قيـادة سـيارتي، جلسـنا في المكتـب، وتحدثنا، ولم يعجبني كثيرًا.

شوغنيزي: هل اكتشفت لاحقًا إن كان للدكتور فيوز علاقة بالاستخبارات؟

كيلي: لقد أخبرني بول بذلك، وهذا في الواقع ما جعلني أتواصل مع سـوزان بعد هذه السـنوات كلها؛ فقد قرأت شهادتها الخطية عن لوكيربي.

شوغنيزي: ماذا تقصدين بالشهادة الخطية؟

كيلي: لقد كتبت شهادة خطية عن لوكيربي أمام المحكمة.

شوغنيزي: ما الذي لفت انتباهك في تلك الشهادة؟

كيلي: كانت شهادتها في الواقع هي ما قاله لي بول هوفين تحديدًا عن محاكمة لوكيربي.

شوغنيزي: وما هو؟

كيلي: إنَّ الليبيين لا علاقة لهم بتفجير طائرة (البان آم 103) فوق لوكيربي، وإنَّ السوريين هم مَـن فعلـوا ذلك، لقد كان الدكتور فيوز موجـودًا، وكان يعرف ذلك، كان من المفترض أن يَعقد اجتماعًا سـريًّا في سويسـرا مع عضو في الكونغرس، لكنَّ الاجتماع أُلغي لسبب ما،

وعندما رأيت شهادة سوزان على غوغل، هاتفتها قائلًا: سوزان، لم أكن أعرف أنَّ بول أخبرك الشيء نفسه الذي أخبرني به.

شوغنيزي: وما علاقة الدكتور فيوز بذلك؟

كيلي: قال بول إنَّ الدكتور فيوز كان موجودًا، وكان يعرف.

شوغنيزي: أين كان موجودًا؟

كيلي: لقد افترضت أنَّها سوريا، كان في سوريا.

شوغنيزي: وعرف ماذا؟

كيلي: عرف أنَّ السوريين هم مَن فجروا الطائرة، وليس الليبيون.

شوغنيزي: وهذا هو ما....

كيلي: وهذا ما كتبته سوزان في شهادتها، وقد ذهلت كثيرًا كثيرًا عندما رأيت الشهادة؛ لأنَّني لم أكن أعرف أنَّها كتبت شهادة، ولم أكن أعلم أنَّ شخصًا آخرَ أخبرها بالشيء نفسه الذي أخبرني به بول.

شوغنيزي: هل حدث ذلك بعد اجتماعك مع الدكتور فيوز؟

كيلي: لا أتذكَّر التواريخ؛ فقد تركت الكونغرس منذ عام 1997م.

شوغنيزي: هل كان ذلك قبل اجتماعك بالدكتور فيوز أم بعده؟

كيلي: كان بعد الاجتماع.

شوغنيزي: وهل اجتمعت به مرَّةً أخرى؟

كيلي: نعم، اتصل بي بول، وطلب إليَّ أن أكتب مقالة عن مشكلة يواجهها الدكتور فيوز مع مقاول كان يبني بيتًا له. لم أكتب المقالة؛ لأنَّهم لم يعطوني الوثائق التي احتجت إليها.

شوغنيزي: بالعودة إلى الشهادة المكتوبة الخاصة بليبيا وسوريا، هل لاحظت أي لقاء بين هوفين وسوزان؟ هل كنت موجودةً معهما؟

كيلي: نعم، طوال الوقت.

شوغنيزي: حسنًا.

كيلي: كان ذلك – على الأقل– كل يوم خميس في مطعم هونان، حيث يلتقيان ويتحادثان.

شوغنيزي: هل كان يتحدث عن لوكيربي باستمرار؟

كيلي: لا أدري، ليست لديَّ أي فكرة عن ذلك؛ فأنا لم أتنصت على حديثهما، كل ما أعرفه أنَّهما كانا يأتيان معًا، لقد سمعت عن سوزان من بول طوال الوقت.

شوغنيزي: ماذا سمعت؟

كيلي: كل ما يخطر ببالك؛ أعني، أنا آسفة، فأنا أشعر بالخجل، كنت صراحةً أشعر بالغيرة لحديثه عنها.

شوغنيزي: هل كان رأيه فيها جيدًا؟

كيلي: نعم، بالتأكيد؛ أعني هذا ما كُتِب في الصحف، لكنَّ بول أطلق عليها اسمًا مستعارًا هو (رقاقة الثلج)، وكان يقول إنَّها حقيرة.

شوغنيزي: كانت ماذا؟

كيلي: حقيرة. لم أُفكِّر كثيرًا في هذا الوصف، لكنَّ بول تحدث عنها كثيرًا، كنا نلتقي ثلاث أو أربع مرَّات في الشهر، وكنا نتناول طعام العشاء... .

شوغنيزي: هل شرح لك في إحدى المرَّات ما كانت تقوم به؟

كيلي: أحيانًا.

شوغنيزي: وماذا كان ذلك؟

كيلي: كنت أستمع، وكان يقول لي أشياء.

شوغنيزي: حسنًا، هل تحدثت إلى بول هوفين عندما حقق معه مكتب التحقيقات الفيدرالي؟

كيلي: لقد هاتفني بول بعدما أجرى المكتب مقابلة معه.

شوغنيزي: هل حدثك عن مضمون تلك المقابلة؟

كيلي: نعم.

شوغنيزي: ما مضمون المقابلة كما قال لك؟

كيلي: كان اتصالًا هاتفيًّا غريبًا، لم أكن قد تحدثت إليه منذ مدَّة، كان قد غادر واشنطن مرَّةً أخرى، وأعتقد أنَّ هذا تصرف طبيعي بعد اعتقال سوزان، لقد غادر بسرعة، وذهب إلى مينيسوتا، وقد غضبت لأنَّه لم يودعني؛ فأنا أعرفه منذ زمن طويل، ثم عندما تلقيت

ذلك الاتصال كان مكتب التحقيقات الفيدرالي قد أجرى مقابلة معه، قال لي بطريقته إنَّ سوزان قالت «إنَّني أعمل مع وكالة استخبارات الدفاع، إنَّها مجنونة، وهي لا تعرف ما الذي تتحدث عنه»، فقلت له إنَّ سوزان قد تبدو سخيفةً، لكنَّها ليست مجنونةً، شعرت أنَّه يريدني أن أوافقه الرأي، ولكن لا يمكنني فعل ذلك، فقلت له إنَّني لا أعتقد أنَّها مجنونة.

شوغنيزي: حسنًا، هل قال إنَّ سوزان مخطئة أو غير دقيقة عندما وصفته بأنَّه يعمل في الاستخبارات، أم قال إنّها مجنونة لأنَّها قالت ذلك؟ ماذا كان انطباعك؟

كيلي: لم ينكر بول في المكالمة أنَّه يعمل مع وكالة استخبارات الدفاع، ولكنَّه ظل يُردِّد إنَّها مجنونة.

شوغنيزي: حسنًا، هل سبق له أن وصفها بالجنون؟

كيلي: لا، لم يقل لي ذلك.

عندما جاء دور المدعي العام فجَّر مفاجأةً حين قال إنَّ هوفين أبلغ مكتب التحقيقات الفيدرالي أنَّه لا يعرف كيلي معرفة جيدة، وأنَّه التقاها مرَّةً أو مرَّتين.

أوكالاهان: أشكرك، لقد تحدثت عن اجتماعات في مطعم هوفان في واشنطن، هل هذا صحيح؟

كيلي: نعم، هذا صحيح.

أوكالاهان: كم عدد مرَّات هذه اللقاءات؟ كم دامت؟

كيلي: دامت سنوات، يمكنني القول إنَّها عشر أو خمس سنوات.

أوكالاهان: عشر أو خمس سنوات.

كيلي: أجل، أعتقد هذا، لقد قضينا وقتًا طويلًا، أعتقد أنَّها خمس سنوات، كانت المجموعة تجتمع منذ زمن طويل، وقد انضممت إليها متأخرة.

أوكالاهان: هل كان بول هوفين في تلك الاجتماعات التي ذكرتها؟

كيلي: نعم.

أوكالاهان: هل تعتقدين أنَّك التقيت السيد هوفين مرارًا؟

كيلي: نعم.

obeikan.com

أوكالاهان: هل يدهشك معرفة أنَّ السيد هوفين أبلغ مكتب التحقيقات الفيدرالي أنَّه التقاك مرَّةً أو مرَّتين؟

كيلي: أشعر بالإهانة لسماعي ذلك.

أوكالاهان: إذن، يدهشك ذلك؟

كيلي: كثيرًا.

كانت لحظات صادمة أخذت فيها كيلي ترتجف أمام القاضية.

أوكالاهان: والآن، لقد قلت إنَّك تعرفت إلى بول هوفين عن طريق هذه اللقاءات، وإنَّك تحدثت إليه كثيرًا، فهل هذا صحيح؟

كيلي: لقد عرفته قبل حفلات العشاء هذه، قبلها بسنوات.

أوكالاهان: إذن، قبل هذه الحفلات وبعدها، هذا يعني أنَّك تعرفت إليه في بدايات التسعينيات من القرن الماضي.

كيلي: أجل.

أوكالاهان: لكنَّك مع ذلك، لم تعرفي من أين كان بول هوفين يعتاش.

كيلي: هذا صحيح، وكما قلت لم أكن أعرف إذا كان له وظيفة منتظمة، أو أنَّه يعيش من نقل المعلومات، أو أنَّ هذه وظيفة أصلًا، لقد ضللني إلى حدٍّ ما.

أوكالاهان: إذن، فأنت لم تعرفي أنَّه كان يعمل مندوبًا لمحطة إي بي سي الإخبارية، هل هذا صحيح؟

كيلي: لا، لم أعرف ذلك حين عرفته.

أوكالاهان: ولم تعرفي أنَّه كان يعمل مندوبًا صحفيًّا غير متفرغ لبرنامج (ستون دقيقةً)؟

كيلي: كان ذلك قبل معرفتي به، كان ذلك من قبل، لقد كتبت تحقيقًا عن بنما، ولكنَّه مرض (أُصيب بفايروس في القلب)، لقد قال لي ذلك، لم أعرف أنَّه كان يقوم بعمل صحفي عندما كنت على علاقة به.

أوكالاهان: حسنًا، والآن، لم يخبرك هوفين بذلك قط، هل أخبرك أنَّه عمل مع وكالة الاستخبارات الأمريكية في يوم من الأيام؟

obeikan.com

كيلي: لا، إطلاقًا.

أوكالاهان: لم يخبرك أنَّه عمل مع وكالة استخبارات الدفاع، هل هذا صحيح؟

كيلي: نعم، هذا صحيح؛ أعني لا يمكن أن يأتي شخص ويقول لك إنَّه جاسوس.

أوكالاهان: حسنًا، هل يمكن أن أُحدِّد التاريخ بين عامي 1999م، و 2003م؟

كيلي: نعم.

أوكالاهان: هل تعرفين أين كنت تعملين في تلك السنوات؟

كيلي: كنت أعمل في صحيفة واشنطن تايمز.

أوكالاهان: كم عدد المرَّات التي تحدثت فيها إلى بول هوفين في هذه السنوات؟

كيلي: طوال الوقت؛ أعني لقد كنا أصدقاء.

أوكالاهان: كم عدد المرَّات التي كنتما تتحدثان فيها تقريبًا؟

كيلي: مرَّةً واحدةً في الأسبوع على الأقل.

أوكالاهان: كانت هذه أحاديث هاتفية كما جرت العادة.

كيلي: كنا أحيانًا نخرج لتناول العشاء.

أوكالاهان: طوال هذه السنوات، هل تحدث بول هوفين عن سوزان ليندا ور؟

كيلي: نعم، بالتأكيد.

أوكالاهان: هل تذكرين مرَّةً محددةً تحدث فيها عن سوزان؟

كيلي: كان بول يتحدث عن سوزان طوال الوقت.

أوكالاهان: أنا أتحدث تحديدًا عن المدَّة الواقعة بين عامي 1990م، و2003م، فهل تراجع حديث بول عنها عما كان عليه في بداية هذه المدَّة؟

كيلي: لا، يمكنني القول إنَّ حديثه زاد عما كان عليه سابقًا.

أوكالاهان: في المرَّات التي تحدثت فيها إلى سوزان ليندا ور، هل تعتقدين أنَّها كانت تبالغ في الحديث عن قاعدة معلوماتها بخصوص موضوع الحديث؟ هل كانت تبالغ في الحديث عن دورها؟

obeikan.com

كيلي: لا.

أوكالاهان: هل كانت لديك أي شكوك في سلامة قواها العقلية؟

كيلي: لا.

أوكالاهان: هل تعتقدين أنَّك أَهْلٌ لإعطاء رأي في سلامة قواها العقلية؟

القاضية: هل تستطيعين الإجابة عن السؤال بصيغته هذه؟

كيلي: نعم، أعتقد أنَّني أَهْلٌ بقدر استطاعتي، وأنت تستطيع ذلك إذا قرأت دليل أعراض التشخيص مثلما يفعل أي طبيب نفساني، ولأنَّني عرفت سوزان منذ سنوات طويلة – ليس بوصفي صديقة لها، وإنَّما بوصفي أحد معارفها في اللقاءات، ومما كنت أسمعه من بول– فلم أشعر أنَّها تعاني عدم توازن عقلي.

عندما انتهى أوكالاهان سألها شوغنيزي: بالنسبة إلى السيد هوفين، هذا الشخص الذي يدعي أنَّه التقاك مرَّةً أو مرَّتين، كم عدد المرَّات التي التقيته بها تقريبًا منذ التسعينيات حتى الآن؟

كيلي: لم أجتمع به منذ انتقاله إلى مينيسوتا، لكنَّه كان رجلًا مهمًّا في حياتي، كنت أظنه صديقًا حميمًا، لقد تناولنا العشاء في بيوت العائلة مرَّات عدَّة؛ أعني لقد التقيته كثيرًا.

شوغنيزي: لحظة من فضلك، أين تعيش عائلتك؟

كيلي: في فرجينيا الشمالية.

شوغنيزي: هل كان يأتي لتناول طعام العشاء في منزل عائلتك؟

كيلي: نعم.

شوغنيزي: كم مرَّةً تقريبًا؟

كيلي: كانت شقيقتي مستعدةً لاستقباله في أي وقت، وكان يذهب إلى السباحة في البركة، لقد كان جزءًا من حياتي، كان صديقًا جيدًا، وكنا نلتقي ونتحادث دائمًا. وفي الحقيقة، فإنَّ بول هدد أحد الصحفيين يومًا ما لأنَّه لم يكن مهذبًا معي عندما كنت أعمل في الكونغرس، وقد أخبرته أن لا يفعل ذلك مرَّةً أخرى، لقد كنا صديقين.

شوغنيزي: إذن، عندما يقول إنَّه التقاك مرَّةً أو مرَّتين... .

كيلي: إنَّه يكذب.

شوغنيزي: هل لفت نظرك مؤخرًا أي كتابات أو أشياء تشير إلى ارتباط بول بالاستخبارات؟

كيلي: نعم، لقد بحثت في (الإنترنت)، وهو يشارك في المُدونات، وقد طبعت بعض إجاباته، وهي على ذلك الكرسي الآن، وفيها يرد على أسئلة عن مخبرين أو عاملين مع الاستخبارات، مثل: جيني ويتون، وإدوين ويلسون، وهو يعطي تفسيرات عن هؤلاء الأشخاص، وكيف عرفهم، وهكذا. عرفني بول أيضًا إلى بيل وأليس ويزنبيرغر، والمعروف أنَّ بيل مسؤول سابق في وكالة الاستخبارات الأمريكية، وكنا نذهب إلى الصيد في مزرعته، كان بول يأخذني إليها.

شوغنيزي: بول هوفين.

كيلي: بول هوفين أخذني إليها، وكنا نخرج مع بيل وأليس لنتناول طعام العشاء؛ أعني أنَّ بول كان يعرف أشخاصًا في الاستخبارات، ومنهم بيل الذي لا يمكنه أن ينكر علاقته بوكالة الاستخبارات الأمريكية.

وأنا أجلس على كرسي الاتهام تنفست الصعداء، وأنا أستمع إلى ما قالته كيلي عن ارتباط بول هوفين بعالم الاستخبارات، وعن علاقته بي؛ لقد انتظرت تلك اللحظة طوال أربع سنوات، لكنَّهم لم يعطوني الفرصة لتوكيد معلوماتي من مصدر مستقل مثل كيلي، والفضل في ذلك يعود إلى محامٍ كان على استعداد للدفاع عني بقوة.

لقد تَبيَّن من شهادة كيلي أنَّ بول هوفين كان يكذب على كيلي وعليَّ طوال هذه السنوات العديدة، وقد استبعدنا من حياته عندما لم يعد بحاجة إلينا.

ثم جاء دور بارك غادفري، أستاذ هندسة الحاسوب في جامعة يورك بتورنتو الذي عرفته منذ عام 1990م [603].

شوغنيزي: كم مرَّةً التقيت سوزان؟

غادفري: كنت أراها مرَّتين في الأسبوع حتى انتقلت إلى تورنتو عام 1999م، وكنت أتحدث إليها بالهاتف ثلاث مرَّات أو أكثر أسبوعيًّا.

شوغنيزي: إذن، كنت تعرفها جيدًا، هل هذا صحيح؟

غادفري: نعم.

شوغنيزي: هل كنت تعرف أنَّها كانت داعيةَ سلامٍ ومعارضةً للحرب؟

غادفري: نعم.

شوغنيزي: هل تحدثت إليك عن أنشطة أو أخطار معينة كانت تعتقد أنَّها تواجهنا؟

غادفري: نعم، لقد فعلت ذلك.

شوغنيزي: هل يمكن أن تصفها لنا؟

غادفري: أعتقد أنَّه من الأفضل لي أن أتحدث عن كيفية معرفتي أنَّها كانت ناشطة سلام، لقد شاركت معها في عدد من المظاهرات في بداية التسعينيات، كانت إحدى هذه المظاهرات في أثناء حرب الخليج، وفي منتصف التسعينيات عرفت أنَّها كانت تسافر إلى نيويورك لإجراء محادثات لها علاقة بمشكلات الشرق الأوسط.

شوغنيزي: هل حدث مرَّةً أن أعربت عن قلقها من هجوم محتمل على الولايات المتحدة؟

غادفري: نعم، لقد تحدثت عن ذلك.

شوغنيزي: ما الذي تحدثت عنه؟

غادفري: لقد حذَّرتني عندما كنت على وشك الالتحاق بعمل في نيويورك من أنَّ تلك المدينة خطرة، وأنَّها تتوقع وقوع هجوم كبير، كان ذلك قبل الحادي عشر من سبتمبر.

شوغنيزي: استمر لو سمحت.

غادفري: سألتها عن طبيعة الهجوم المتوقع، فقالت إنَّه سيكون ضخمًا، وقد يشمل استخدام طائرات مختطفة، وربما أسلحة نووية على شاكلة ما حدث عام 1993م.

شوغنيزي: ماذا كانت تعني في إشارتها إلى عام 1993م؟

غادفري: كانت تشير إلى التفجير الذي حدث في مركز التجارة العالمي.

شوغنيزي: هل كانت تعتقد أم كانت تقول لك بأنَّ هجومًا مماثلًا سيحدث قريبًا؟

غادفري: كانت تعتقد ذلك، وقالت إنَّ الهجوم القادم سيكمل حلقة ذلك الهجوم، وإنَّ هذا الهجوم سيحدث أواخر الصيف وبداية الخريف.

شوغنيزي: هل كنت تعرف أيًّا من الأشياء التي كانت تقوم بها؛ ما جعلها تحصل على تلك المعلومات، وتتوقع هذا الهجوم؟

غادفري: حسنًا، كنت أعرف أنَّها تقوم بعمل يهدف إلى منع تدهور الأوضاع التي أدَّت إلى الحرب في العراق، وكانت تسافر إلى نيويورك لتتحدث إلى أشخاص معينين، ولكن لم يخطر ببالي أنَّها كانت مُطَّلِعةً على معلومات استخباراتية عن هذا الهجوم.

شوغنيزي: قلت إنَّها كانت تزور نيويورك بانتظام، فهل تعرف طبيعة الأشخاص الذين كانت تلتقيهم فيها؟

غادفري: لا، لا أعرف تحديدًا، إلا أنَّني عرفت لاحقًا أنَّهم أشخاص من القنصلية العراقية، مع أنَّها كانت تقول إنَّها تجتمع مع أشخاص من مختلف دول الشرق الأوسط.

شوغنيزي: هل ذكرت اسم أي من هذه الدول؟

غادفري: لا، ليس مباشرةً.

شوغنيزي: وهل ذكرت أمامك اسم شخص يُدعى بول هوفين؟

غادفري: نعم.

شوغنيزي: بأي شأن؟

غادفري: كنا مجموعة أصدقاء في عموم ميريلاند، وعندما كنا نلتقي كان حديثنا يتطرَّق إلى قضايا سياسية، أذكر في إحدى المرَّات، في الوقت الذي ترشح فيه بيل كلينتون للرئاسة، أنَّني تحدثت إلى سوزان عن أشياء قامت بها، فذكرت لي أنَّها تلتقي أسبوعيًّا بمجموعة أخرى تختلف تمامًا عن مجموعتنا، وأنَّ معظم أفرادها من الجمهوريين، ولهم علاقات بالاستخبارات، ثم ذكرت لي اسم شخص يُدعى بول هوفين.

شوغنيزي: هل قالت أي شيء عما قامت به مع هوفين، أم إنَّه كان مجرد عضو في المجموعة؟

غادفري: لم يكن الأمر يتعلق بنشاطها السياسي، أعتقد أنَّها كانت مجرد مجموعة اجتماعية، لقد دعوها إلى الانضمام إليهم، ثم تعرفت إلى هوفين.

شوغنيزي: هل شعرت بوجود عداوة بين سوزان وهوفين؟

غادفري: لا، لا توجد أي عداوة حسب علمي.

شوغنيزي: قلت إنَّ سوزان كانت تذهب للقاء أشخاص من الشرق الأوسط في السفارات، هل ذكرت دولًا معينة حسب علمك؟

غادفري: الحقيقة أنَّها لم تذكر، كانت تتحدث بصورة عامة، ولم تتعمق في التفاصيل.

أما أسئلة المدعي العام وأجوبة غادفري عنها فكانت مثيرةً؛ إذ حاول المدعي العام أن يصور تحذيراتي باحتمال وقوع هجمات الحادي عشر من سبتمبر أنَّها هواجس، لكنَّ غادفري تمسَّك بما قاله، ثم قدَّم شهادة مكتوبة عن تحذيرات الحادي عشر من سبتمبر [604].

غادفري: إنَّ تحذير السيدة ليندا ور أول مرَّة عام 2000م كان غامضًا إلى حدٍّ ما؛ إذ قالت إنَّها تعتقد أنَّ هجومًا إرهابيًّا سيقع في مدينة نيويورك، وأتذكَّر أنَّ تحذيراتها أصبحت حاسمةً أكثر في ربيع أو صيف عام 2001م، وصارت قلقةً أكثر من احتمال وقوع الهجوم، وقد أخبرتني مرَّات عدَّة بأنَّ الهجوم سيشمل استخدام طائرة مختطفة، أو الهجوم بطائرات.

وقالت إنَّ الهجوم الذي سيستهدف الجزء الجنوبي من مانهاتن سيكون أكبر من الهجوم الذي تعرَّض له مركز التجارة العالمي عام 1993م. وفي شهر أغسطس عام 2001م قالت إنَّ الهجوم بات وشيكًا، وإنَّ الوضع خطير، وإنَّ أشخاصًا كثيرين سيقتلون. وفي شهر سبتمبر عام 2004م حقق معي ضباط من مكتب التحقيقات الفيدرالي بحضور الشرطة الكندية. جرى ذلك في كندا، فأنا مواطن كندي؛ ولهذا أصرت الشرطة الكندية على حضور المقابلة التي أجرتها عميلة مكتب التحقيقات الفيدرالي سوزان لوتورنيو.

تركزت المقابلة على حياة سوزان ليندا ور ومعارفها، ولم تتطرَّق إلى توقعاتها أو التهم المُوجَّهة إليها، لكنَّني أبلغت المُحقِّقة الأمريكية أنَّ توقعات سوزان ليندا ور عن هجمات الحادي عشر من سبتمبر كانت دقيقةً جدًّا.

وهكذا، فقد جاء هذا الشاهدان من خارج الدوائر الاستخباراتية ليُؤكِّدا صحة روايتي أمام المحكمة، ولو أنَّهما أدليا بشهادتيهما قبل شهر سبتمبر من عام 2004م لكانا سبَّبا مشكلة كبيرة للكونغرس الذي كان يستعد لنشر تقرير لجنة التحقيق في هجمات الحادي عشر من

سبتمبر؛ وهي اللجنة التي انتقدت (منظري المؤامرة) الذين قالوا إنَّ وقف هذه الهجمات، أو التقليل من آثارها كان ممكنًا. ولو جاءت هاتان الشهادتان بعد نشر التقرير لأحدثتا ضجة كبيرة، وهذا ما جعل وزارة العدل تقاوم بشدة أي محاولة لتقديمي إلى المحاكمة، ولم يكن مكتب التحقيقات الفيدرالي هو الجهة الوحيدة في وزارة العدل التي حققت مع غادفري، وإنَّما تحدث إلى أشخاص كثيرين، من بينهم الدكتور شادوك في سجن كارسويل [605].

غادفري: في مطلع شهر ديسمبر عام 2005م، وبعد أشهر من اعتقال السيدة ليندا ور، تحدثت إلى الطبيب النفساني الذي كلفته المحكمة بعمل تقييم نفساني لها، حاولت أن أُخبره بتوقعاتها عن هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وعرضت القدوم من تورنتو للإدلاء بشهادتي أمام جلسة النظر في كفايتها العقلية، وقد حضرت الجلسة الخاصة بالتخدير القسري في شهر مايو عام 2006م، وعرضت الإدلاء بشهادتي في ذلك اليوم، لكنَّ محاميها السيد سام تالكين لم يستدعني للشهادة، لكنَّني تحدثت إليه في جلسة جانبية عن توقعاتها بخصوص هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وقلت له إنَّني أشعر بالاشمئزاز مما يجري في المحكمة.

وما من شك في أنَّ غادفري قد بذل جهودًا كبيرةً لتوثيق تحذيراتي عن طريق الاتصال بمكتب التحقيقات الفيدرالي، ومكتب السجون، والعم تيد، ومحامين كثيرين، إلا أنَّهم ظلوا يسخرون مني، ويصفون تحذيراتي وتوقعاتي بالأوهام.

ولولا فطنة الدكتور موكاسي لنجحت عملية الخداع والتزييف هذه، ولبقيت في السجن إلى أجل غير مسمى بسبب قانون الباتريوت، ولحقنوني بالهالدول كما يحلو لهم؛ لجعلي أتراجع عن آرائي، وعن الحقائق الثابتة في حياتي.

واصل غادفري الحديث عن شهادته المكتوبة [606]،قائلًا:

غادفري: في رأيي أنَّ السيدة ليندا ور مؤهَّلة تمامًا، وهي لا تعاني أي مرض أو اختلال عقلي، وتتمتع بمزاج جمالي، وهي مخلصة في الدفاع عن قضاياها، وكاتبة مبدعة، وصحفية سابقة، ولم يسبق لي أن لاحظت عليها أي مرض عقلي.

ثم تحدث عن عدم تعاون المحامي تالكين، بقوله:

لقد أبلغت محاميها أنَّني مستعد للتحدث إلى المحققين، وكنت مستعدًّا لحديث مُطول عن تحذيرات السيدة ليندا ور بخصوص هجمات الحادي عشر من سبتمبر، ولكنَّني فوجئت أنَّ المحامي أنهى المكالمة بعد خمس أو عشر دقائق فقط، وأنَّ أسئلته لا تتعلق بالتهم المُوجَّهة إليها. وبعد بضعة أشهر اتصلت بعمها تيد ليندا ور، وتحدثت إليه مُطولًا عن موضوعات عدَّة في قضيتها، وأستطيع القول إنَّ السيدة ليندا ور كانت مضطرةً إلى الاستعانة بعمِّها لعمل مقابلات مع الشهود قبل إرسالها إلى سجن كارسويل.

وفي ختام إفادته انتقد غادفري فكرة عدم كفايتي القانونية للمثول أمام المحكمة، وانتقد وزارة العدل، قائلًا: في رأيي، وعلى عكس ما يقوله محامو وزارة العدل، فإنَّ السيدة ليندا ور أَهْلٌ الآن، مثلما كانت دائمًا، للمثول أمام المحكمة، وقد كان اتهامها بأنَّها غير أَهْلٍ قانونيًّا أمرًا مُحيِّرًا لي ولآخرين، وأعتقد أنَّ رفض طلبها المثول أمام المحكمة كان لدوافع سياسية. لقد عانت سوزان ليندا ور طوال هذه المأساة إساءات كثيرة، منها: المماطلة في تحديد موعد للمحاكمة (أو إسقاط التهم)، والتشكيك باستمرار في تحذيراتها من الهجمات الإرهابية، واحتجازها في قاعدة عسكرية سبعة أشهر على بُعْد (1300) ميل من بيتها، ثم احتجازها بضعة أشهر أخرى. إنَّ تصرف مكتب التحقيقات الفيدرالي ومكتب الادعاء العام في قضية السيدة ليندا ور، كان بغيضًا، ومن الواضح أنَّ أشياء أخرى تحدث في الخفاء.

الصحيفة العتيقة تعاني العته

شعرت بالفرح لهذا النجاح، واعتقدت أنَّنا قد ربحنا المعركة، إلى أن قرأت صحيفة نيويورك تايمز، نشرت الصحيفة خبرًا في قسم المحليات كتبه ألان فوير [607]، لم يأتِ فيه على ذكر شهادة كيلي أوميرا، وتأكيدها علاقتي الطويلة بهوفين، وارتباطاته بأجهزة الاستخبارات، ولم يتطرَّق إلى طبيعة عملي في الاتصالات السرية مع العراق قبل الحرب، والأسوأ من ذلك أنَّ الكاتب زعم أنَّني تطاولت على المدعي العام [608]، قرأت الخبر مرَّات عدَّة، ولم أُصدِّق الكذب الذي ورد فيه حتى إنَّني بكيت.

لا أدري من أين جاء بهذا؛ لأنَّ شتم الآخرين ليس من طبعي، كان ما كتبه هذا الصحفي معيبًا، ويفتقر إلى الموضوعية، لكنَّ الناس العاديين -للأسف- يُصدِّقون كل ما تكتبه هذه الصحيفة.

أما بالنسبة إلى الأسباب التي دفعت فوير إلى عمل ذلك فلا أعلم عنها شيئًا، لكنَّني شعرت بالخيانة؛ لقد انتظرت أربع سنوات لأقول الحقيقة لسكان مدينة نيوويرك، إلا أنَّ كل ما حصلت عليه هو جلسة واحدة، واستدعاء شاهدين.

ولكنَّ الشيء الذي لم تكن تعرفه هذه الصحيفة، هو أنَّها لم تعد مصدر الأخبار الوحيد بعد ظهور المُدونين على الساحة، كان أحد هؤلاء، وهو مايكل كولينز، قد جاء إلى نيويورك لحضور جلسة الاستماع، وسجل كل ما حدث بانتباه واهتمام وتفصيل، ثم نشر ذلك كله، أما الصحيفة العتيقة فكانت تعاني العته، ولم تنشر الحقائق، وقد حمل ما كتبه كولينز عنوان: (كشف تحذيرات سوزان ليندا ور عن هجمات الحادي عشر من سبتمبر) [609]. أما المواقع الأخرى، ففضحت تواطؤ الصحيفة وتعتيمها على الحقائق [610].

كان ما نشرته المواقع الإلكترونية مصدر فرح لي بعد سنوات المعاناة هذه كلها، لكنَّنا لم نكن نعلم بوجود مفاجأة أخرى بانتظارنا.

بعد أسابيع قليلة من إدلاء كيلي وغادفري بشهادتيهما، ترك أوكالاهان مكتب المدعي العام في مانهاتن، لينضم إلى كبار العاملين في حملة جون ماكين الانتخابية [611] في منصب كبير المستشارين، وأُوكلت إليه مهمة الإشراف على حملة سارة بالين التي ترشحت لمنصب نائب الرئيس.

كان هذا يكفي لنعرف أنَّه كان يتلقى راتبًا من ماكين، لقد كان كل شيء لعبةً سياسيةً، وكانت نتائجها معروفةً. وبذلك أكون قد أوضحت قضيتي كاملةً.